تحت الرعاية السامية لمعالي وزير التعليم العالي والبحث العلمي

SOUS LE HAUT PATRONAGE DE MONSIEUR, LE MINISTRE DE L' ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

الجـامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية - أدرار

L'UNIVERSITE COLONEl AHMED DRAYA-ADRAR

تنظـــــــم

ORGANISE

الملتقى الدولي الحادي عشر

Onziéme Colloque International

التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة

Le Soufisme en Islam et Les défis contemporains

أيام: ٩-١٠-١١ نوفمبر ٢٠٠٨

المحور الثالث:

العلاقة بين أهل التصوف وغيرهم

الرسالة التوحيدية والروحية لدى فقهاء المغرب
"أبو مدين الغوث أنموذجا"

د. خالد زَهْري
الخزانة الملكية، الرباط

الملخص:

من أخطر الدعاوى، التي شاعت في عصرنا هذا، دعوى الانعتاق من كل أشكال المذهبية الفقهية، تحقيقا لمبدإ طوباوي غير سليم، وهو زعمهم: "إسلام بلا مذاهب".

مما يستلزم الرد على هذه الدعوى من تراثنا الإسلامي، الذي بناه أساطين الفكر، دون انسلاخ من هويتهم المذهبية، وأيضا دون تعصب تجاه المذهبيات المخالفة.

ومن أبرز هؤلاء الأساطين، الشيخ أبو مدين شعيب بن الحسين، المعروف بأبي مدين الغوث (ت. 594هـ/1198هـ)، الذي كان أنموذجا رائعا للانفتاح. وفي الآن نفسه، كان من أبرز العلماء، الذين أسهوا في الحفاظ على الهوية الثقافية للمغرب.

إن التكوين المالكي المتين، الذي حدد التوجه الفكري، والعلمي، والروحي، لأبي مدين، هو المعيار الذي انفتح به على شيخه عبد القادر الجيلاني، فأخذ طريقته الصوفية، ونشرها في كل أرجاء المغرب، دون المساس بهويته المذهبية.

لقد كان أبو مدين، يربي الناس روحيا، وفي الآن نفسه، ترد عليه الفتاوى، ويجيب عنها، وفقا لمذهب الإمام مالك، معيدا بذلك للفقه أصالته. ولعل هذا ما يفسر لجوء أولياء وقته إليه للاستفتاء، فيما يعرض لهم من المسائل. قال أحمد التادلي الصومعي (ت. 1013 هـ / 1604 م): "ومن عجيب كرائم سيدي أبي مدين، أن أولياء زمانه، كانوا يستفتونه في المعضلات، من مشكلات الطريق، التي لا يفهمها الفقهاء، فيجيب عنها في الحين".

وهذا له ارتباط بالفكر الإسلامي، في أوج تقدمه، وهو القرن الثالث، حيث كان الحكيم الترمذي، ممن أضاف شرطا إلى شروط الاجتهاد. وهو الولاية، فلا يفتي المفتي، إلا إذا كان من أهل الولاية الخاصة.

ولا جرم أن هذا يحقق قاعدة هامة، وهي اتفاق المذاهب قاطبة على أن أصول العلم، التي تضبط حياة المسلمين عامة، والعلماء خاصة، تتصدرها العلاقة الروحية الإيمانية، التي من أجلها نزل القرآن، واعتبرها منطلقا ضروريا، ومقصدا أساسا، في بناء المجتمع الإسلامي السليم.

وعندما نشير إلى "العلاقة الروحية الإيمانية"، فإننا نقصد أصالة حضور البعد الإيماني، اعني التوحيدي الأشعري، في التجربة الروحية، حيث التبس مفهوم الكلام بمفهوم التصوف، عند المغاربة، في

أحايين كثيرة، بل ذابا وامتزجا في مصطلح واحد، يدل عليهما معا، وهو مصطلح "التوحيد". ومن ذلك، ما قاله أبو مدين الغوث: "أنفع العلوم: العلم بأحكام العبيد. وأرفع العلوم: علم التوحيد".

فالتفاعل الروحي، يظل وسيلة هامة للانفتاح المذهبي – عقديا وفقهيا –، بحيث يصير الانفتاح، بين المذاهب الإسلامية، طريقة روحية، لتعميق الوحدة الإسلامية، وتخصيب المذهبية الفقهية، على حد سواء.

لقد تشبع أبو مدين الغوث بالمشرب الصوفي المشرقي، عند التقائه بعبد القادر الجيلاني، مع الحفاظ على المذهب المالكي في الفتوى والاجتهاد، باعتباره إطارا فقهيا، يحافظ على الوحدة السياسية في الغرب الإسلامي، الذي كان تحكمه آنئذ الأسرة الموحدية.

وبذلك، تكون العلاقة الروحية، بين أبي مدين المالكي والجيلاني الحنبلي، مظهرا لثلاث حقائق هامة:

– أولاها: الترفع عن الخلافات المذهبية والفروع الفقهية؛

– ثانيها الحرص على الأساس العقدي، الذي يمثله المذهب الأشعري؛

– ثالثها: الحفاظ على التآلف الديني العميق. وهذا ما يجعل القاعدة الروحية منطلقا ضروريا لتخصيب التراث الفقهي وتنويعه، والحفاظ على الهوية المذهبية، مع الانفتاح على المذاهب الأخرى، ومد الجسور معها.

وعليه، فإن المحاور، التي سينبني عليها هذا البحث، هي:

– التكوين المالكي لأبي مدين، وأهم شيوخه الذين أخذ عنهم، خاصة عندما كان يدرس بفاس، بعد هجرته من الأندلس، إلى سبتة، ثم مراكش، ثم فاس؛

– الرسالة التوحيدية، والفقهية، والروحية، التي كان يحملها، خاصة عندما استقر به المقام بمدينة بجاية؛

– رحلته إلى المشرق، حين التقائه، في مكة، بعبد القادر الجيلاني، وقراءة علم الحديث عليه، وأخذ الطريقة الصوفية عنه؛

– التفاعل التوحيدي مع الممارسة الفقهية والتوجه الصوفي العرفاني، عند أبي مدين؛

– بعض ملامح الاجتهاد عند أبي مدين.

من أخطر الدعاوى، التي شاعت في عصرنا هذا، دعوى الانعتاق من كل أشكال المذهبية الفقهية، تحقيقا لمبدإ طوباوي غير سليم، وهو زعمهم: "إسلام بلا مذاهب".

مما يستلزم الرد على هذه الدعوى من تراثنا الإسلامي، الذي بناه أساطين الفكر، دون انسلاخ من هويتهم المذهبية، وأيضا دون تعصب تجاه المذهبيات المخالفة.

ومن أبرز هؤلاء الأساطين، الشيخ أبو مدين شعيب بن الحسين، المعروف بأبي مدين الغوث (ت. 594هـ/1198هـ)[1]، الذي كان أنموذجا رائعا للانفتاح. وفي الآن نفسه، كان من أبرز العلماء، الذين أسهموا في الحفاظ على الهوية الثقافية للمغرب.

وعليه، فإن المحاور، التي سينبني عليها هذا البحث، هي:

– التكوين المالكي لأبي مدين، وأهم شيوخه الذين أخذ عنهم، خاصة عندما كان يَدْرس بفاس، بعد هجرته من الأندلس، إلى سبتة، ثم مراكش، ثم فاس؛

– الرسالة التوحيدية، والفقهية، والروحية، التي كان يحملها، خاصة عندما استقر به المقام بمدينة بجاية، وتتجلى هذه الرسالة في الكم الهائل من التلاميذ والمريدين، الذين حملوا مشعل طرقته بعد وفاته، وكانوا نموذجا للتصوف الأخلاقي العملي؛

– رحلته إلى المشرق، حين التقائه، في مكة، بعبد القادر الجيلاني، وقراءة علم الحديث عليه، وأخذ الطريقة الصوفية عنه، مما فيه دلالة على الانفتاح العلمي؛

– التفاعل التوحيدي مع الممارسة الفقهية والتوجه الصوفي العرفاني، عند أبي مدين؛

– بعض ملامح الاجتهاد عند أبي مدين، ولعل من أهمها الحرص على التداخل بين التوحيد، والفقه، والتصوف، باعتبارها أهم الأركان التي تنبني عليها الثقافة المغربية.

المكانة الروحية والعلمية

لأبي مدين الغوث

بادئ ذي بدء، نشير إلى أن أبا مدين الغوث، هو الذي تنسب إليه الطريقة المَدْيَنية[2].

---

[1] – **من الفقهاء المشارقة، الذين يمكن أن نقارنهم بأبي مدين الغوث – دفين تلمسان –، عبد الوهاب البغدادي دفين مصر. فالدارس للرجلين، يستطيع أن يكشف كثيرا من نقط التشابه بينهما. فكلاهما هاجر من بلده، من أجل التحصيل العلمي والروحي. وكلاهما مات بعيدا عن بلده الأم. وكلاهما كان من كبار علماء المذهب المالكي. وكلاهما كان أديبا، فأبو مدين، له شعر رقيق وعذب، والبغدادي من الشعراء، الذين ضيفهم أبو العلاء المعري، أديبُ عصره شعرا ونثرا. وكلاهما انفتح على المذاهب الأخرى، واستفاد منها، وأفاد. فالبغدادي له كتاب في "علم الخلاف"، وأبو مدين كان من أبرز شيوخه أحدُ أساطين المذهب الحنبلي، وهو الشيخ عبد القاهر الجرجاني.**

[2] – الروضة المقصودة والحلل الممدودة في مآثر بني سودة لأبي الربيع سليمان الحوات، تحقيق عبد العزيز تيلاني، مؤسسة أحمد بن سودة الثقافية، فاس، ط. 1، 1415 / 1994، ج. 1، ص. 387 – 388.

وقد ذهب محمد الصغير الإفراني إلى أن غالب الطرق، الموجودة في المغرب والمشرق، خصوصا الشاذلية، ترجع إلى أبي مدين[3].

وهذا فيه نظر. ولعل الصحيح المُعَوَّل عليه، هو ما ذهب إليه أبو سالم العياشي، وهو "أن غالب الطرق، ترجع إلى القادرية. فإن أبا مدين، أخذ عن الشيخ عبد القادر، وأبا الحسن الشاذلي اخذ عن أصحاب أبي مدين، وسيدي إبراهيم الدسوقي [...] أخذ عن سيدي عبد السلام بن مشيش، وهو من أصحاب أبي مدين"[4].

وكان الشيخ أبو مدين، من أئمة العرفان، وأساطين الدين. فأجمع المترجمون له، أو كادوا، على أنه "شيخ المشايخ"، أو "شيخ الشيوخ"[5]. وأثنوا عليه بما يُبَوِّئه مقام القطبانية والولاية، والتبحر في أسرار الديانة.

فقد نقل ابن الزيات (ت. 617 هـ / 1220 م)، عن أبي الصبر أيوب بن عبد الله الفهري قوله في شيخه أبي مدين الغوث: "كان زاهدا، فاضلا، عارفا بالله تعالى. قد خاض من الأحوال بحارا، ونال من

---

[3] – درر الحجال في مناقب سبعة رجال لمحمد الصغير الإفراني، تحقيق حسن جلاب، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ط. 1، 1421 / 2000، ص. 152.

[4] – اقتفاء الأثر بعد ذهاب أها الأثر لأبي سالم عبد الله بن محمد العياشي، تحقيق نفيسة الذهبي، منشورات كلية الاداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط. 1، 1996، ص. 163. وانظر أيضا السند، الذي ذكره علي بن ميمون الغماري، في "رسالة الإخوان من أهل الفقه وحملة القرآن" (تحقيق خالد زهري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 1، 1424 / 2003، ص. 31 – 32).

[5] – عنوان الدراية بمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأبي العباس أحمد بن أحمد الغبريني، المطبعة الثعالبية، الجزائر، ط. 1، 1328 / 1910، ص. 5. اللمحات النسية، مخطوط محفوظ في المكتبة الوطنية بالرباط، مسجل تحت رقم "1641 د"، الورقة 49 ب. أنس الفقير وعز الحقير لأبي العباس أحمد بن حسن بن قنفذ، تصحيح محمد الفاسي، وأدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965، ص. 16، 102. شرف الطالب في أسنى المطالب لابن قنفذ، ضمن كتاب "ألأف سنة من الوفيات في ثلاثة كتب"، تحقيق محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، سلسلة التراجم (2)، الرباط، 1396 / 1976، ص. 67. الوفيات لابن قنفذ، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط. 4، 1403 / 1983، ص. 297. المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى لأحمد التادلي الصومعي، تحقيق علي الجاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، 1996، ص. 160، 164، 421. البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان لأبي عبد الله محمد بن محمد ابن مريم التلمساني، مراجعة محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1326 / 1908، ص. 108. نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس (ليبيا)، ط.1، 1982/1398، ج. 1، ص. 193. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1408 / 1988، ج. 7، ص. 136. البيان والمزيد المشتمل على معاني التنزيه وحقائق التوحيد على أنس الوحيد ونزهة المريد لشهاب الدين أحمد بن عبد القادر المعروف بـ "باعشن"، طبعة قديمة غير موثقة، ص. 2 – 3. تعريف الخلف برجال السلف لأبي القاسم محمد الحفناوي، مطبعة بيير فو نتانة الشرقية، الجزائر، 1324 / 1906، ج. 2، ص. 172. سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس لمحمد بن جعفر الكتاني، طبعة حجرية بفاس، 1316، ج. 1، ص. 364. شجرة النور الزكية في طبقات المالكي لمحمد بن محمد مخلوف، دار الكتاب العربي، بيروت، ط. 1، 1349، ص. 164. المطرب في مشاهير أولياء المغرب لعبد الله التليدي، مؤسسة التغليف والطباعة والنشر والتوزيع للشمال، طنجة، 1987، ص. 58.

المعارف أسرارا، وخصوصا مقام التوكل، لا يشق فيه غبار، ولا تجهل آثاره. وكان مبسوطا بالعلم، مقبوضا بالمراقبة، كثير الالتفات بقلبه إلى الله تعالى، حتى ختم الله له بذلك"[6].

ونعته أبو العباس العزفي (ت. 633 هـ / 1235 م) بـ "الشيخ الصالح"[7].

وحلاه الغبريني (ت. 714 هـ / 1314 م) بـ "الشيخ، الفقيه، المحقق، الواصل، القطب، شيخ مشايخ الإسلام في عصره، إمام العُبَّاد والزهاد، وخاصة الخلصاء من فضلاء العباد"[8].

ووصفه عبد الحق البادسي (كان حيا عام 722 هـ / 1322 م) بـ "الشيخ الزاهد"[9].

واعتبره ابن باديس (ت. 787 هـ / 1385 م) من "صدور العارفين المقربين، وعظماء العارفين، وأصحاب الحقائق، والمعارف، والتمكين، والتصريف، وخرق العوائد، ممن جمع له بين علمي الشريعة والحقيقة، انتهت له رئاسة هذا الشأن"[10].

ووصفه ابن قنفذ (ت. 810 هـ / 1407 م) بـ "الشيخ العارف، المحقق الواحد القطب"[11]، وبـ "شيخ مشايخ الإسلام، وإمام العباد الزهاد"[12]، وانه "بلغ رحمه الله من الورع مقاما عليا، ونال من الزهد والتحقيق منالا سنيا، تبعه فيه المتقون،واقتدى به المحققون، ولازمه المصدقون. وله أشياخ مشاهير، وإخوان جماهير، وأصحاب جواهر"[13]، وقال فيه: "كان زاهدا في الدنيا، عارفا بالله تعالى، وخاض بحارا من الحوال، ونال من المعارف الربانية الآمال. ومقامه الخاص به، الذي لا يلحقه فيه احد، التوكل على الله تعالى. وكان له بسط وقبض. فبسطه بالعلم، وقبضه بالمراقبة"[14].

وجعله الشعراني (ت.973هـ/1565م)، "من أعيان مشايخ المغرب، وصدور المربين"[15]، وقال فيه: "أجمعت المشايخ على تعظيمه وإجلاله، وتأدبوا بين يديه. وكان ظريفا، جميلا، متواضعا، زاهدا، ورعا، محققا، مشتملا على كرم الأخلاق، رضي الله عنه"[16].

---

[6] – التشوف إلى رجال التصوف لأبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي المعروف بابن الزيات، تحقيق أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط. 2، 1997، ص. 319.

[7] – دعامة اليقين في زعامة المتقين لأبي العباس أحمد بن محمد العزفي، تحقيق أحمد التوفيق، مكتبة خدمة الكتاب، الرباط، 1989، ص. 53.

[8] – عنوان الدراية، ص. 5.

[9] – المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف لعبد الحق بن إسماعيل البادسي، تحقيق سعيد أعراب، المطبعة الملكية، الرباط، ط. 2، 1414 / 1993، ص. 51.

[10] – اللمحات الأنسية، الورقة 49 ب.

[11] – أنس الفقير وعز الحقير، ص. 11.

[12] – أنس الفقير وعز الحقير، ص. 16.

[13] – أنس الفقير وعز الحقير، ص. 19 – 20.

[14] – أنس الفقير وعز الحقير، ص. 11.

[15] – الطبقات الكبرى المسماة بـ "لواقح الأنوار في طبقات الأخيار" لأبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني، ضبطه وصححه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 1، 1418 / 1997، ص. 219.

واعتبره الصومعي (ت.1013هـ/1604 م)، من أكبر الأئمة "قدرا، وأفخمهم أمرا. الشيخ العارف بالله، الصديق الأكبر"[17].

ونعته ابن مريم(ت.1014هـ/1605م)ب "سيد العارفين،وقدوة السالكين،الإمام المشهور"[18].

ووصفه ابن القاضي (ت. 1025 هـ / 1616 م)، بالشيخ "العارف، الواصل، المحقق، القطب، فقيه الأولياء، وعمدة الأتقياء"[19].

ووسمه المقري (ت. 1041 هـ / 1632 م)، بـ "الشيخ، تاج العارفين"[20]، وقال فيه: "وهو بحر لا ساحل له"[21].

وجعله أبو العباس الولالي (ت. 1128 هـ / 1717 م)، ضمن الأولياء الأفراد، الذين ثبت لهم المدد، في الحياة، وبعد الممات"[22].

وحلاه الإفراني (ت. 1140 هـ / 1728 م) بـ "قدوة العارفين، وقبلة السالكين، وشيخ الشيوخ بالإجماع"[23]. وقال فيه الجفري (ت. 1222 هـ / 1807 م): "كان احد أركان هذا الشأن[24]، وأجل الأكابر الأعيان. أظهر الله على يديه عجائب الآيات، وكشف له أسرار المغيَّبات، وانتشر ذكره في الآفاق، وانعقد الإجماع على فضله بالاتفاق"[25].

وتعته الميرغني(ت.1268هـ/1852 م) بـ "القطب"[26]، و"الأستاذ"[27].

---

[16] – الطبقات الكبرى، ص. 220.

[17] – المعزى، ص. 137.

[18] – البستان، ص. 108. وبهذا أيضا، نعته أحمد بابا التنبكتي، والمقري، والحفناوي، والكتاني (نيل الابتهاج، ج. 1، ص. 193. نفح الطيب، ج. 7، ص. 136. تعريف الخلف، ج. 2، ص. 172. سلوة الأنفاس، ج. 1، ص. 103.

[19] – جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس لأحمد ابن القاضي المكناسي، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1974، ص. 530.

[20] – روضة التعريف بالحب الشريف للسان الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب، تحقيق محمد الكتاني، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط. 1، 1970، ج. 1، ص. 273، ج. 2، ص. 497، 505.

[21] – نفح الطيب، ج. 7، ص. 143.

[22] – مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار لأبي العباس أحمد بن محمد بن يعقوب الولاتي، تحقيق عبد العزيز بوعصاب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط. 1، 1999، ص. 164.

[23] – درر الحجال، ص. 152.

[24] – أي: التصوف والمعرفة بالله تعالى.

[25] – كنز البراهين الكَسْبية والأسرار الوَهبية الغَيْبية لسادات مشايخ الطريقة العلوية الحسينية والشُّعَيبية لشيخ بن محمد الجفري، تصحيح علي المخللاتي، 1281، ص. 293.

[26] – مسند أهل الطرق، مخطوط محفوظ في المكتبة الوطنية بالرباط، مسجل تحت رقم "1458 ط"، الصفحة 26.

[27] – مسند أهل الطرق، ص. 47.

ووصفه الناصري (ت. 1315 هـ / 1897 م)، بـ "الشيخ العارف بالله تعالى"، وبـ "الولي الكبير المشهور"[28].

وحلاه محمد جعفر الكتاني (ت. 1345 هـ / 1927 م)، بـ "الشيخ الكامل، المحقق الواصل، الشيخ الأعظم، العارف الأفخم، عظيم الأكابر والأفاضل، ورأس الصوفية الأماثل، القطب، الغوث، ولي الله تعالى"، وبـ "شيخ المشايخ الأفراد، وإمام الزهاد والعباد"[29].

واعتبره مخلوف "شيخ الطريقة، جمع الله له علم الشريعة والحقيقة"، وقال فيه: "كان من الفضلاء، وأعلام العلماء، ومن حُفاظ الحديث"[30].

شيوخ أبي مدين الغوث:

أخذ أبو مدين الغوث عن جماعة من الأكابر[31]، نذكر منهم:

-الشيخ الحافظ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حِرْزِهِم (ت.559هـ / 1193 م): أخذ عنه كتاب "الرعاية" للمحاسبي، و"إحياء علوم الدين" للغزالي، وقرأ عليه علم الأصول، وعلم الكلام[32]؛

- الشيخ المربي، ذو الكرامات، أبو يِغْزَى[33] يِلَنُّور بن عبد الرحمن بن أبي بكر الأيلاني (ت. 572 هـ / 1176 م): تربى عليه روحيا، وأخذ عنه الخرقة الصوفية[34]؛

---

[28] – الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري، تحقيق جعفر الناصري، ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955، ج. 2، ص. 212.

[29] – سلوة الأنفاس، ج. 1، ص. 364.

[30] – شجرة النور الزكية، ص. 164.

[31] – مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن لأبي حامد محمد العربي الفاسي، طبعة حجرية بفاس، 1324، ص. 198. الروض العطر النفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس المنسوب لأبي عبد الله محمد بن عيشون الشراط، تحقيق زهراء النظام، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط. 1، 1997، ص. 82.

[32] – التشوف إلى رجال التصوف، ص. 322. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري المراكشي، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د. ت.، ج. 4، ص. 128. اللمحات الأنسية، الورقتان 44 ب، 49 ب. أنس الفقير وعز الحقير، ص. 12، 14، 16، 20، 31، 42. شرف الطالب، ص. 63. المعزى، ص. 139، 140، 160، 169. اليستان، ص. 108. جذوة الاقتباس، ص. 531. نيل الابتهاج، ج. 1، ص. 194. نفح الطيب، ج. 7، ص. 137. الروض العطر النفاس، ص. 66، 82، 313. كنز البراهين، ص. 311. الالستقصا، ج. 2، ص. 212. تعريف الخلف، ج. 2، ص. 173. سلوة الأنفاس، ج. 1، ص. 365. شدجرة النور الزكية، ص. 164. الإعلام بمن حل مراكش واغمات من الأعلام للعباس بن إبراهيم السملالي المراكشي، راجعه عبد الوهاب بن المنصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1983،ج.10، ص.166. المطرب، ص.59،58. دائرة المعارف الإسلامية(بالفرنسية)، ليدن–باريس، 1975،ج.1، ص.141.

– الفقيه الحافظ، العلامة، أبو الحسن علي بن خلف بن غالب الأنصاري الأندلسي (ت. 568 هـ / 1172 م)[35]: سمع عليه كتاب "السنن" لأبي عيسى الترمذي[36]؛

– الشيخ الصالح، أبو عبد الله الدقاق السجلماسي، من كبار مشايخ القون السادس (ق.12م)[37]: أخذ عنه طريق التصوف أيضا[38]؛

– الشيخ أبو الحسن السلاوي: أخذ عنه طريق التصوف أيضا[39]؛

– العارف بالله، الشيخ أبو محمد عبد القادر بن موسى الجيلاني (ت. 561 هـ/1166م): أخذ عنه، عندما التقى به في مكة، حيث قرأ عليه كثيرا من الحديث، ولبس منه الخرقة الصوفية[40]؛

---

[33] – ألف أبو العباس العزفي كتابا استقل بذكر مناقبه بعنوان "دعامة اليقين في زعامة المتقين"، وأفرد مناقبه بالتأليف أيضا الصومعي في كتابه "المعزى في مناقب أبي يعزى". وانظر ترجمته أيضا في "التشوف إلى رجال التصوف" (ص. 213 – 222)، و"الطبقات الكبرى" (ص. 195 – 196).

[34] – التشوف، ص. 213، 320، 321، 323، 325. الروض الناضر، مخطوط محفوظ في المكتبة الوطنية بالرباط، مسجل تحت رقم "72 ط"، ج. 2، ص. 154 – 155. عنوان الدراية، ص. 5. اللمحات الأنسية، الورقة 49 أ – ب. النفحات القدسية لأبي علي الحسن بن أبي القاسم بن حسن بن باديس القُسَنْطِيني، مخطوط محفوظ في الخزانة الحسنية بالرباط، مسجل تحت رقم "11940"، الورقة 135 ب. أنس الفقير وعز الحقير، ص. 15، 21.المعزى، ص. 137، 151، 160، 169. البستان، ص. 108، 110. جذوة الاقتباس، ص. 531. نيل الابتهاج، ج. 1،ص. 195. نفح الطيب، ج. 7، ص. 137.مرآة المحاسن، ص. 198. الروض العطر النفاس، ص. 82. درر الحجال، ص. 143، 148. كنز البراهين، ص. 309 – 311. الاستقصا، ج. 2، ص. 212 – 213. تعريف الخلف، ج. 2، ص. 173. سلوة الأنفاس، ج. 1، ص. 365. شجرة النور الزكية، ص. 164. الإعلام بمن حل مراكش واغمات من العلام، ج. 10، ص. 166، 168، 172، 174، 178. المطرب، ص. 58، 59. دائرة المعارف الإسلامية، ج. 1، ص. 141.

[35] – هذا بحسب قول صاحب "التشوف". أما ابن قنفذ، فذكر أن وفاته، كانت في حدود عام 590 هـ (أنس الفقير وعز الحقير، ص. 26).

[36] – التشوف إلى رجال التصوف، ص. 322. الذيل والتكملة، ج. 4، ص. 128. أنس الفقير وعز الحقير، ص. 14، 26. المعزى، ص. 140، 159. البستان، ص. 109. جذوة الاقتباس، ص. 531. نيل الابتهاج، ج. 1، ص. 194. نفح الطيب، ج. 7، ص. 137. مرآة المحاسن، ص. 199. الروض العطر الأنفاس، ص. 82. الاستقصا، ج. 2، ص. 212. تعريف الخلف، ج. 2، ص. 173. سلوة الأنفاس، ج. 1، ص. 365. شجرة النور الزكية، ص. 164. المطرب، ص. 58.

[37] – له ترجمة في "التشوف إلى رجال التصوف" (ص. 156 – 157)، و"المعزى" (ص. 140)، و"الروض العطر الأنفاس" (ص. 266 – 271)، و"سلوة النفاس" (ج. 3، ص. 102).

[38] – التشوف إلى رجال التصوف، ص. 322. الذيل والتكملة، ج. 4، ص. 128. أنس الفقير وعز الحقير، ص. 27. الروض العطر الأنفاس، ص. 182، 266. الاستقصا، ج. 2، ص. 212. سلوة الأنفاس، ج. 1، ص. 366. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج. 10، ص. 174. المطرب، ص. 61. دائرة المعارف الإسلامية، ج. 1، ص. 141.

[39] – التشوف إلى رجال التصوف، ص. 322. المعزى، ص. 140. الاستقصا، ج. 2، ص. 212.

[40] – اللمحات الأنسية، الورقة 49 ب. المعزى، ص. 143، 151، 160. نيل الابتهاج، ج. 1، ص. 195. نفح الطيب، ج. 7، ص. 138. مرآة المحاسن، ص. 198. اقتفاء الأثر، ص. 163. الروض العطر الأنفاس، ص. 82. مستندات أصل الطرق حميعها التي منها تأسيس طرق السادة الصوفية لمحمد بن محمد الميرغني، مخطوط محفوظ في المكتبة الوطنية بالرباط، مسجل تحت رقم "1458 ك"، ص.

– أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري (ت. 543 هـ / 1148 م): أخذ عنه الخرقة الصوفية[41]؛

– أ[و بكر محمد بن الوليد الطرطوشي (ت. 520 هـ / 1126 م): زعم الجفري، ان أ[ا مدين الغوث، أخذ عنه الخرقة الصوفية[42]. وهذا مستبعد جدا، لأن أبا مدين، عند وفاة الطرطوشي، كان صغير السن، يتراوح عمره بين ست سنوات وسبع عشرة سنة، إذا رجحنا ان ولادته، كانت نحو 509 هـ / 1115 م[43]، أي: انه لم يصل بعدُ إلى السن التي تؤهله لارتداء الخرقة.

تلاميذ أبي مدين الغوث

كان أبو مدين الغوث، "مشغولا بالتربية والإفادة، والتعليم والعبادة، والإقبال على الله تعالى، في الظاهر والباطن"[44]، وتخرَّج به عالَم[45].

ويذكر مترجموهو، أنه خرَّج ألف تلميذ، أو أكثر[46]، ظهرت على يدهم كرامات[47]. فكان؛ بدون منازع؛ من صدور المربِّين[48]، قال الجفري: "وتخرج به جماعة من أكابر المشايخ، وتتلمذ به خلق كثير، من أهل الطريقة، وانتهى إليه عالَم عظيم من الصلحاء، وتأدب بين يديه المشايخ والعلماء"[49].

---

26. تعريف الخلف، ج. 2، ص. 174. سلوة الأنفاس، ج. 1، ص. 365. شجرة النور الزكية، ص. 164. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج. 10، ص. 171. المطرب، ص. 61. دائرة المعارف الإنسانية، ج. 1، ص. 141.

[41] – اللمحات النسية، الورقة 49 أ.

[42] – كنز البراهين، ص. 209.

[43] – بالنسبة لتاريخ ولادة أبي مدين الغوث، فقد جاء في "دائرة المعارف الإسلامية"، أنها كانت نحو 520 هـ / 1126 م (ج. 1، ص. 141). لكن، إذا أخذنا بقول من قال: إنه توفي عن خمس وثمانين سنة (سلوة الأنفاس، ج. 2، ص. 366. شجرة النور الزكية، ص. 164)، فستكون ولادته نحو عام 509 هـ / 1115 م، إذا سلمنا بأن وفاته كانت عام 594 هـ / 1198 م، ونحو عام 503 هـ / 1109 م، إذا سلمنا بانها كانت عام 588 هـ / 1192 م، ونحو عام 504 هـ / 1110 م، إذا سلمنا بأنها كانت عام 589 هـ / 1193 م، ونحو عام 505 هـ / 1111 م، إذا سلمنا بأنها كانت عام 590 هـ / 1193 م. وإذا أخذنا بقول من قال: إنه توفي، وقد قارب الثمانين، أو ناهزها (الطبقات الكبرى، ص. 219. الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين لخير الدين الزركلي، ج. 3، ص. 244)، فالفرض ان ولادته، كانت نحو 514 هـ / 1120 م، أو 508 هـ / 1114 م، أو 509 هـ / 1113 م، أو 510 هـ / 1116 م، بحسب الاختلاف في تاريخ وفاته. وما دامت أكثر المصادر، وأهمها، ترجح وفاته عام 594 هـ / 1198 م، فهذا يستلزم أن الراجح في ولادته، أنها كانت نحو 509 هـ / 1115 م، إذا قلنا إنه عاش نحو 85 سنة، أو نحو 514 هـ / 1120 م، إذا قلنا إنه عاش نحو 80 سنة.

[44] – أنس الفقير وعز الحقير، ص. 17.

[45] – اللمحات الأنسية، الورقة 49 ب.

[46] – وذكر ابن عطاء الله السكندري، في شرحه لرائية أبي مدين، انهم بلغوا اثني عشر ألف تلميذ (عنوان التوفيق في آداب الطريق لابن عطاء الله السكندري، تحقيق خالد زهري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 1، 1424 / 2004، ص. 55). وانظر أيضا شرح ابن عجيبة على الرائية نفسها (مخطوط محفوظ في المكتبة الوطنية بالرباط، مسجل تحت رقم "1736 د"، الورقة 53 ب.

[47] – التشوف إلى رجال التصوف، ص. 324. اللمحات الأنسية، الورقة 50 أ. أنس الفقير وعز الحقير، ص. 16، 102. المعزى، ص. 138، 161. نيل الابتهاج، ج. 1، ص. 193. نفح الطيب، ج. 7، ص. 136. كنز البراهين، ص. 293. تعريف الخلف، ج. 2، ص.

ومن الكتب التي كان يلازمها، ويقوم عليها، درسا وتدريسا، كتاب "الرعاية" للمحاسبي[50]، و"إحياء علوم الدين" للغزالي[51]، ومنهاج العابدين للغزاليا[52]، و"المقصد الأسنى في أسماء الله الحسنى" للغزالي أيضا[53]، والجامع الصحيح للترمذي[54]، و"الرسالة القشيرية" في التصوف[55].

ونحن ذاكرون هنا طائفة من تلاميذه، وهم من العلماء الأكابر، ومن السادات الصوفية، الذين لا يشق لهم غبار، ول تجهل لهم آثار: – الفقيه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد الأنصاري: وهو من كبار تلاميذه، وكثير الرواية عنه[56]؛

– الشيخ الصالح أبو علي حسن بن محمد الغافقي الصوّاف: صحب أبا مدين، نحوا من ثلاثين سنة، ولم يفارقه، إلا بالموت[57]؛

– الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله الأنصاري السقطي[58]؛

– الشيخ العارف عبد الرحيم بن أحمد بن حجون المغربي[59]؛

---

172. سلوة الأنفاس، ج. 1، ص. 365. شجرة النور الزكية، ص. 164. الإعلام بمن حل مراكش واغمات من العلام، ج. 10، ص. 169. المطرب، ص. 61.

[48] – الطبقات الكبرى، ص. 212.

[49] – كنز البراهين، ص. 293. وانظر أيضا "نيل الابتهاج" (ج. 1، ص. 194).

[50] – المعزى، ص. 140.

[51] – عنوان الدراية، ص. 5. اللمحات النسية، الورقة 49 ب. أنس الفقير وعز الحقير، ص. 21. المعزى، ص. 140، 142، 149. البستان، ص. 108. نيل الابتهاج، ج. 1، ص. 194. تعريف الخلف، ج. 2، ص. 172.

[52] – التشوف إلى رجال التصوف، ص. 324. أنس الفقير وعز الحقير، ص. 40. المعزى، ص. 142. نفح الطيب، ج. 7، ص. 137. المطرب، ص. 61.. وقد أنكر أبو سالم العياشي نسبة هذا الكتاب إلى الغزالي: "فإن كلام الإمام أبي حامد، لا يكاد يخفى على من مارسه، فإنه لسان وقته، بلاغة وتحريرا، وذو الذوق السليم، يميز بين الكلامين. ويشهد لذلك أيضا، أن من عزَّ بالإمام أبي حامد من الأقدمين، لم يذكروا هذا الكتاب في تآليفه، والله أعلم. وقد اشتهر نسبة كثير من التآليف لغير أربابها" (الرحلة العياشية (ماء الموائد) لأبي سالم العياشي، وضع فهارسها محمد حجي، طبعة ثانية مصورة بالأوفست، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، سلسلة الرحلات (1)، الرباط، 1397 / 1977، ج. 1، ص. 357).

[53] – أنس الفقير وعز الحقير، ص. 92. المعزى، ص. 258.

[54] – أنس الفقير وعز الحقير، ص. 14، 26. المعزى، ص. 140، 159. البستان، ص. 108. نيل الابتهاج، ج. 1، ص. 194. نفح الطيب، ج. 7، ص.137. تعريف الخلف، ج. 2، ص. 172. شجرة النور الزكية، ص. 164. المطرب، ص.61.

[55] – عنوان الدراية، ص.7. أنس الفقير وعز الحقير، ص.17. المعزى، ص. 142، 164. نيل الابتهاج، ج. 1، ص. 197.

[56] – التشوف إلى رجال التصوف، ص. 320، 324، 325. الذيل والتكملة، ج. 4، ص. 128. انس الفقير وعز الحقير، ص.37، 95. الاستقصا، ج.2، ص. 212. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج. 10، ص. 165، 169، 170.

[57] – التشوف إلى رجال التصوف، ص. 321، 323، 324، 326. الذيل والتكملة، ج. 4، ص. 128 – 129. أنس الفقير وعز الحقير، ص. 36، 38. المعزى، ص. 140، 165. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من العلام، ج. 10، ص. 168، 169 – 170.

[58] – التشوف إلى رجال التصوف، ص. 324. أنس الفقير وعز الحقير، ص. 39.

[59] – اللمحات الأنسية، الورقة 49 ب. البستان، ص. 110. نيل الابتهاج، ج. 1، ص. 195. نفح الطيب، ج. 7، ص. 139. الإهلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج. 10، ص. 173، 175.

– أبو البقاء عبد الله[60]؛

– أبو العباس احمد البرنسي، صاحب كتاب "الذهب الإبريز والمختصر الوجيز"، وهو كتاب في شرح أسماء الله الحسنى[61]؛

الشيخ الشهير أبو محمد صالح بن ينصارن الدكالي الماجري القرشي المخزومي، دفين آسفي[62]: أخص أصحابه، وأكبر تلامذته قدرا، أخذ عنه طريق اللباس والتبرك الصوفيين[63]؛

الشيخ الزاهد أبو محمد عبد الرزاق الجزولي، دفين الإسكندرية، وهو احد خواص أصحابه وتلامذته[64]؛

– أبو محمد[65] عبد الخالق التونسي[66]؛

– الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن علي بن عربي الحاتمي (ت.638 هـ/ 1240م)[67]؛

الشيخ القاضي أبو علي عبد الحق المسيلي، صاحي كتاب "التذكرة في أصول الدين"[68]؛

– الشيخ القاضي أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي (ت. 581 هـ/ 1185م)، صاحب كتابي "الأحكام الكبرى"، و"الأحكام الصغرى"، في الحديث، وكتاب "العافية في التذكير"[69]؛

– الشيخ أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيد بونة الخزاعي[70]؛

---

[60] – شرف الطالب، ص. 67. وفيات ابن قنفذ، ص. 298.

[61] – الروض العطر الأنفاس، ص. 313.

[62] – توجد له ترجمة في "المقصد الشريف" (ص. 101 – 102)، و"سلوة الأنفاس" (ج. 2، ص. 42).

[63] – اللمحات الأنسية، الورقة 49 ب. أنس الفقير وعز الحقير، ص. 35، 62. المعزى، ص. 158. اقتفاء الأثر، ص. 162. كنز البراهين، ص. 302، 310. الج العروس للزبيدي، ج. 7، ص. 388. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج. 10، ص. 172، 173، 175، 178. المطرب، ص. 58، 68. مؤرخو الشرفاء لليفي بروفنصال، تعريب عبد القادر الخلادي، دار المغرب، الرباط، 1397 / 1977، ص. 153.

[64] – اللمحات الأنسية، الورقة 50 أ – ب. انس الفقير وعز الحقير، ص. 36، 61. الطبقات الكبرى، ص. 219. المعزى، ص. 161. البستان، ص. 111. نيل الابتهاج، ج. 1، ص. 196. نفح الطيب، ج. 7، ص. 140. كنز البراهين، ص. 294. الإعلام بمن حل مراكش واغمات من الأعلام، ص. 10، ص. 173. المطرب، ص. 58، 64، 67.

[65] – سماه مخلوف أبا محمد صالح بن عبد الخالق التونسي (شجرة النور الزكية، ص. 164).

[66] – أنس الفقير وعز الحقير، ص. 100. البستان، ص. 112. نيل الابتهاج، ج. 1، ص. 197. نفح الطيب، ج. 7، ص. 141. تعريف الخلف، ج. 2، ص. 176.

[67] – عنوان الدراية، ص. 5. كنز البراهين، ص. 293. مستندات أصل الطرق، ص. 47. سلوة الأنفاس، ج. 1، ص. 364. شجرة النور الزكية، ص. 164.

[68] – عنوان الدراية، ص. 9 – 10. أنس الفقير وعز الحقير، ص. 34. المعزى، ص. 145. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج. 10، ص. 172.

[69] – عنوان الدراية، ص. 9 – 10. أنس الفقير وعز الحقير، ص. 34. المعزى، ص. 145. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج. 10، ص. 172.

[70] – اللمحات الأنسية، الورقة 50 أ. المعزى، ص. 161. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج. 10، ص. 173.

- الشيخ أبو محمد عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدوي، المدفون بمرسى جراح بأحواز تونس[71]؛

- الشيخ أبو عبد الله محمد بن احمد بن إبراهيم القرشي الأندلسي، المتوفى في بيت المقدس عام 599 هـ / 1202 م[72]؛

- آية الله في المكاشفة أبو عمران موسى تدراس الحلاّج[73]؛

- الشيخ الصالح الشهير أبو مسعود بن عريف، من جبال شلف بتلمسان[74]؛

- العابد الزاهد أبو محمد صالح محمد بن أبي القاسم السجلماسي[75]؛

- الشيخ محمد الفشتالي الفاسي[76]؛

-الشيخ أبو محمد محمد بن حمادو[77] الصنهاجي،من قلعة بني حماد:قرأ على أبي مدين كتاب "المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى" للغزالي، من فاتحته إلى خاتمته، وتفقه عليه في بجاية[78]؛

- الشيخ أبو غانم سالم[79]؛

- الشيخ أبو علي واضح المكناسي[80]؛

- الشيخ الصالح الفقير أبو الصبر أيوب بن عبد الله الفهري السبتي[81]؛

- الشيخ بلال: أخذ عن أبي مدين الخرقة الصوفية[82]؛

- الشيخ أبو حامد عبد الواحد[83]؛

- الشيخ أبو الربيع المظفر[84]؛

---

[71] - اللمحات الأنسية، الورقة 50 أ. أنس الفقير وعز الحقير، ص. 97. شرف الطالب، ص. 67. وفيات ابن قنفذ، ص. 298. المعزى، ص. 161. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج. 10، ص. 173.

[72] - اللمحات الأنسية، الورقة 49 ب. الإعلام بمن حل مراكش واغمات من العلام، ج. 10، ص. 173، 175.

[73] - أنس الفقير وعز الحقير، ص. 38. المعزى، ص. 159. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من العلام، ج. 10، ص. 175.. وقد سمي بـ "الجلاّج"، لأنه كان يحلج القطن بفاس.

[74] - أنس الفقير وعز الحقير، ص. 40. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج. 10، ص. 174.

[75] - الإعلام بمن حل مراكش واغمات من الأعلام، ج. 10، ص. 174.

[76] - الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج. 10، ص. 174.

[77] - في "المعزى": "محمد بن حماد"، وفي "الإعلام" للمراكشي: "محمد بن أحمد".

[78] - أنس الفقير وعز الحقير، ص.92. المعزى، ص.258. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من العلام، ج.10، ص.174.

[79] - الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج. 10، ص. 175.

[80] - الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج. 10، ص. 175.

[81] - التشوف، ص.

[82] - أنس الفقير وعز الحقير، ص. 93. المعزى، ص. 258.

[83] - الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج. 10، ص. 175.

- **الشيخ أبو زيد بن هبة الله الورثي[85]؛**
- **الشيخ أبو جعفر بن السراج[86]؛**
- **الشيخ أبو عبد الله بن عبد الحق التلمساني[87]؛**
- **الشيخ أبو علي زلال[88]؛**
- **القطب عبد السلام بن مشيش[89]؛**
- **الشيخ أبو النجاة: أخذ عن أبي مدين ببجاية[90]؛**
- **الشيخ عبد العزيز الهروية[91]؛**
- **الشيخ أبو سعيد[92]؛**

- **جد الشيخ أحمد المقري التلمساني: صرَّح بذلك في "نفح الطيب"[93]؛**
- **الحرة الصالح، لَلاَّ فاطمة الأندلسية القصرية[94]؛**
- **الشيخ يوسف الدهماني القيرواني[95]؛**
- **الشيخ طاهر المزوغي الساقي[96]؛**

---

[84] – الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج. 10، ص. 175.

[85] – الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج. 10، ص. 175.

[86] – الذيل والتكملة، ج. 4، ص. 128.

[87] – الذيل والتكملة، ج. 4، ص. 128.

[88] – الذيل والتكملة، ج. 4، ص. 128.

[89] – اقتفاء الأثر، ص. 163. المعروف، لدى مترجِمي أبي مدين، أن عبد السلام بن مشيشي، أخذ عن أبي مدين بواسطة. وذكر الزبيدي واسطتين، هما أبو العباس السبتي، وأبو محمد صالح (تاج العروس من جواهر القاموس لمحب الدين أبي الفيض محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، طبعة غير موثقة، ج. 7، ص. 388). لكن أبا سالم العياشي، نقل عن شيحه "القشاشي، ان سيدي عبد السلام، أخذ عن أبي مدين، بلا واسطة. ولا يبعد ذلك، فإن سيدي العربي الفاسي، قال: لو ادعى مُدَّعٍ، ان سيدي عبد السلام، أخذ عن أبي مدين، بلا واسطة، لم يبعد ذلك، فإن التاريخ يقبله". وقال: "ادعى ذلك شيخنا القشاشي، فإنه ذكر في أسانيده، أن سيدي إبراهيم الدسوقي، أخذ عن سيدي عبد السلام، عن أبي مدين. ذكر ذلك في موضعين، أو ثلاثة" (اقتفاء الأثر، ص. 147. وانظر أيضا "مرآة المحاسن"، ص. 196). وذكر الميرغني، ان ابن مشيش، لبس الخرقة، من أبي مدين، عن عبد القادر الجيلاني (مستندات أصل الطرق، ص. 26 – 27).

[90] – اللمحات الأنسية، الورقة 50 أ.

[91] – اللمحات النسية، الورقة 50 ب.

[92] – أنس الفقير وعز الحقير، ص. 65.

[93] – قال: "وإنما ذكرت ترجمة سيدي الشيخ أبي مدين، المتبرَّك به، ولكونه شيخ جدي. فأنا في بركته، لقول جدي: إنه دعا له، ولذريته، بما ظهر قبوله" (نفح الطيب، ج. 7،ص. 144).

[94] – أنس الفقير وعز الحقير، ص. 91. المطرب، ص. 58.

[95] – شجرة النور الزكية، ص. 164.

[96] – شجرة النور الزكية، ص. 164.

– أبو عبد الله محمد الدباغ، والد مؤلف كتاب "معالم الإيمان"[97].

كما أخذ عن الشيخ أبي مدين مشايخ كُمَّل، هنديون وسنديون[98]. وممن ينتسب إليه، من أهل الهند، الشيخ الكبير أحمد كنهو الكجراتي[99].

وينسب إليه أيضا كثير من شيةخ اليمن، كالشيخ الفقيه محمد بن علي، والشيخ سعيد العمودي، والشيخ باعمر، والشيه باحمران، والشيخ بامعبد، والشيخ جوهر العدني، وغالب مشايخ حضر موت[100].

هذا، وقد ذكرنا بعض الشيوخ، ممن حاز شرفَي الصحبة والتلمذة، من لدن شيخ المشايخ أبي مدين الغوث. أما من حاز مرتبة الصحبة، دون التلمذة، فكثير. نذكر منهم:

– الشيخ أبا عبد الله محمد بن يعلى التاودي، سلك معه على يدي علي ابن حرزهم، وكانا أخوين في طريق شيخهما[101]؛

– ومنهم الشيخ الصالح أبو محمد عبد الله بن ماكْسَن الصنهاجي[102]؛

– زمنهم الشيخ أبو الزهر ربيع الأنصاري البجائي، والد الفقيه أبي محمد عبد الحق ربيع الأنصاري البجائي[103]؛

– ومنهم المحصل المتقن، يحيى بن علي بن حسن بن حبوس الهمداني[104].

وغيرهم كثير.

مؤلفات أبي مدين الغوث

لأبي مدين الغوث تأليفات، وتقييدات، في طريق التصوف[105]، وكلام، وأدعية، وشعر[106]. ونظمه جيد، ورائق[107]، وكثير، ومشهور بين الناس[108].

---

[97] – شجرة النور الزكية، ص. 164.

[98] – رسالة الإخوان من اهل الفقه وحملة القرآن، ص. 31. الروض العطر الأنفاس، ص. 279. كنز البراهين، ص. 293. مرآة المحاسن، ص. 14.

[99] – كنز البراهين، ص. 293.

[100] – كنز البراهين، ص. 293. وقال أبو سالم العياشي، في الشيخ باعلوي الحضرمي اليمني: "وطريقه؛ في غالب ظني؛ تتصل بأبي مدين، كما هو طريق أسلافه الحضرميين رضي الله عنهم. فإن أبا مدين رضي الله عنه، بعث ثلاث خرق إلى بلاد اليمن، إحداها إلى بعض الحضرميين، كما نص على ذلك بعض من ألف في لباس الخرقة" (اقتفاء الأثر، ص. 157).

[101] – الروض العطر الأنفاس، ص. 66، 271.

[102] – التشوف إلى رجال التصوف، ص. 325. الذيل والتكملة، ج. 4، ص. 128. أنس الفقير وعز الحقير، ص. 90. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج. 10، ص. 170.

[103] – أنس الفقير وعز الحقير، ص. 101. الإعلام بمن حل مراكش واغمات من الأعلام، ج. 10، ص. 174.

[104] – الإعلام بمن حل مراكش واغمات من الأعلام، ص. 10، ص. 174.

[105] – الروض العطر الأنفاس، ص. 66.

[106] – الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج. 10، ص. 172.

[107] – درر الحجال، ص. 152 – 153. شجرة النور الزكية، ص. 164.

ونذكر من مؤلفاته:

- استغفار منظوم من بحر البسيط: عدد أبياته 32 بيتا، مطلعه:

أستغفر الله مجري الفلك في الظُّلَم على عباب من التيار ملتطم[109]؛

– أنس الوحيد ونزهة المريد في التوحيد[110]: وهو من أَنْفَس كتب الحكمة وأجلها، ولذا يعرف أيضا بـ "حِكَم أبي مدين"[111]. وقد أكثر العلماء من الاقتباس منها[112]؛

– تقييد في التصوف وآداب خدمة الشيخ[113]؛

– الجوهرة: وهي منظومة رجزية في الوعظ، عدد أبياتها 103، وهذا مطلعها:

مقصورة سميتها بالجوهرة مفل لما شان الحجا من الصدا

لا تصحبن من الورى سوى الذي يهديك من ضلالة إلى الهدى[114]؛

– حرز الأقسام[115]؛

– خطبة وعظية: نقلها عبد الله گنون في "النبوغ المغربي"[116]؛

---

[108] – نفح الطيب، ج. 7، ص. 143. وانظر طائفة من أشعاره في "المعزى" (ص. 146 – 147)، و"الإعلام بمن حل مراكش واغمات من الأعلام" (ج. 10، ص. 175 – 177)، و"المطرب" (ص. 74 – 76).

[109] – توجد منه نسخة مخطوطة، محفوظة في الخزانة الحسنية بالرباط، مسجل تحت رقم "8832"، ضمن مجموع، من الورقة 205 ب إلى 206 ب.

[110] – ذكره حاجي خليفة والبغدادي بهذا العنوان (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تصحيح شرف الدين يالت قايا، ورفعت بيلكه الكليسي، مكتبة المثنى، بغداد، ج. 1، ص. 84. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لإسماعيل باشا البغدادي، تصحيح رفعت بيلكه الكليسي، مكتبة المثنى، بغداد، ج. 1، ص. 133. هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي، مكتبة المثنى، بغداد، 1955، ج. 1، ص. 417).

[111] – ملحق تاريخ الأدب العربي (بالألمانية) لكارل بروكلمان، ليدن، 1937 – 1939، ج. 1، ص. 784. وقد اختلط الأمر لدى البعض، فظنهما كتابين منفصلين. فمثلا، في "فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة للكتب والوثائق بالمغرب"، فُهْرِسا باعتبارهما كتابين مختلفين: الأول بعنوان "أنس الوحيد ونزهة المريد" (مطبعة التومي، الرباط، 1973، ج. 1، ص. 265، القسم الثالث)، والثاني بعنوان "حكم أبي مدين" (المرجع نفسه، ج. 2، ص. 87، القسم الثاني.

[112] – انظر مثلا: عنوان الدراية، ص. 11 – 13. أنس الفقير وعز الحقير، ص. 18 – 19. الطبقات الكبرى، ص. 220 – 221. البستان، ص. 114. نيل الابتهاج، ج. 1، ص. 198 – 199. كنز البراهين، ص. 310. تعريف الخلف، ج. 1، ص. 177 – 178. المطرب، ص. 71 – 74. وقد شرحها أحمد بن عبد القادر المعروف بـ "باعشن"، وسماه "البيان والمزيد المشتمل على معاني التنزيه وحقائق التوحيد" (ذكره البغدادي في "إيضاح المكنون"، ج. 1، ص. 133. وقد طبع هذا الشرح عام 1300 هـ: معجم سركيس، ج. 2، ص. 345).

[113] – توجد منه مخطوطة، محفوظو في مكتبة عبد الله گنون بطنجة، وهي في أربع ورقات، في المرتبة الثالثة من مجوع مسجل تحت رقم "10518".

[114] – توجد منها نسخة مخطوطة، محفوظة في الخزانة الحسنية بالرباط، مسجلة تحت رقم "6921"، ضمن مجموع، من الورقة 10 أ إلى 13 أ.

[115] – توجد منه نسخة مخطوطة، محفوظة في مكتبة بايزيد باسطنبول، مسجلة تحت رقم "253"، وأخرى محفوظة في المكتبة السليمانية باسطنبول أيضا، مسجلة تحت رقم "398".

- رسالة في التصوف[117]؛

- عقيدة[118]؛

- قصيدة بائية من بحر الطويل: عدد أبياتها اثنا عشر (12) بيتا، هذا مطلعها:

إليك مددت الكفا في طل شدة ومنك وجدت اللطف في كل نائب[119]؛

- قصيدة خمرية نونية من بحر الطويل[120]: عدد أبياتها 107، وهذا مطلعها:

أدرها لنا صرفا ودع مزجها عنا وارو فإن العز من ذلك نلنا؛

- قصيدة رائية في التصوف وآداب السلوك من بحر الطويل[121]، وهذا مطلعها:

ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا هم السلاطين والسادات والأمرا[122]

ومن أهم الشروح عليها، شرح ابن عطاء الله السكندري، الموسوم بـ "عنوان التوفيق في آداب الطريق". فلا غرو أن يكون شرحه هذا، وتقريره ما ورد فيها، وتحقيقه ما لاح منها من إشارات ولطائف، يوحي بتأثره العميق بمسلك أبي مدين الغوث، في التصوف والعرفان. ومما يؤكد ذلك ويزكيه، أنه يستدل بأقواله في سائر كتبه[123]. وهذا إعلان صريح عن مصدر معرفي لديه.

كما نجد صدى الحِكَم المَدْيَنية مترددا في كتبه. فقد قال أبو مدين مثلا: "من ترك التدبير والاختيار، طاب عيشه"[124]، وهي الفكرة المحورية، التي ينبني عليها كتاب "التنوير في إسقاط التدبير".

وقال أبو مدين: "علامة الإخلاص، أن تغيّب عنك الخلق، في مشاهدة الحق"[125].

---

[116] – النبوغ المغربي لعبد الله گنون، مكتبة المدرسة – دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط. 2، 1961، ج. 2، ص. 355 – 357.

[117] – توجد منها نسخة مخطوطة، محفوظة في المكتبة السليمانية باسطنبول، مسجلة تحت رقم" 1810".

[118] – مذكورة في "دائرة المعارف الإسلامية" (ج. 1، ص. 141)، وهو الآن قيد تحقيقنا.

[119] – توجد منها نسختان خطيتان، محفوظتان في الخزانة الحسنية بالرباط، إحداهما مسجلة تحت رقم "8832"، ضمن مجموع، من الورقة 206 ب إلى 207 أ، وثانيهما مسجلة تحت رقم "12241"، ضمن مجموع، من الورقة 108 ب إلى 109 أ.

[120] – نقلها الجفري في "كنز البراهين" (ص. 301 – 305).

[121] – وقد شرحها ابن عطاء الله السكندري، وسماها "عنوان التوفيق في آداب الطريق" (تحقيق خالد زهري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 1، 1424 / 2004. كما شرحها ابن عجيبة التطاوني (توجد منها نسخة مخطوطة، محفوظة في المكتبة الوطنية بالرباط، مسجلة تحت رقم "1736 د"، ضمن مجموع، من الورقة 49 ب إلى 54 ب)، بيد أن الملاحظ أنها منسوخة حرفا حرفا من شرح ابن عطاء الله المذكور. وقد نقلت هذه الرائية، الكثير من كتب التصوف، خاصة المغربية منها (انظر؛ مثلا؛ "المعزى"، ص. 422).

[122] – منشورة في ملحق، في آخر "عنوان التوفيق في آداب الطريق" (ص. 89 – 90).

[123] – انظر؛ مثلا؛ "التنوير في إسقاط التدبير" لابن عطاء الله السكندري (دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 1، 1419 / 1998، ص. 18، 85، 114).

[124] – أنس الوحيد ونزهة المريد لأبي مدين الغوث، منشور مع "عنوان التوفيق في آداب الطريق" لابن عطاء الله السكندري، تحقيق خالد زهري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 1، 1424 / 2004، ص. 84.

[125] – أنس الوحيد ونزهة المريد، ص. 82.

ولا ريب أن الناظر في هذه الحكمة العطائية: "غيِّب نظر الخلق إليه، بنظر الله إليك. وغِبْ عن وجود إقبالهم عليك، بشهود إقباله عليك"[126]، يُشْعِر بنوع من الاقتباس المخفي بإعادة الصياغة.

وقال أبو مدين: "من عرف نفسه، لم يغتر بثناء الناس عليه"[127]، وهي حكمة مفصَّلة في "الحِكَم العطائية"[128]؛

– قصيدة رائية من بحر الطويل[129]: يذكر فيها آلاء الله ونعمه، عدد أبياتها 29 بيتا، وهذا مطلعها:

صلاتك ربي والسلام على الذي أتانا رسولا داعيا ومبشرا

أيا من تعالى مجده متكبرا وجل جلالا قدره أن يقدرا؛

– قصيدة رائية من بحر الكامل: نقل منها المقري اثني عشر بيتا[130]، وهذا مطلع ما نقله:

بكت السحاب فأضحكت لبكائها زهر الرياض وفاضت الأنهار؛

- قصيدة غزلية نونية من بحر الطويل[131]: عدد أبياتها 23 بيتا، وهذا مطلعها:

صلاتك ربي والسلام على النبي صلاة بها نرجو الزيادة والحسنى

تضيق بنا الدنيا إذا غبتم عنا وتذهب بالأشواق أرواحنا منا؛

- وصية[132]؛ كما له أدعية في الاستخارة، وغيرها[133].

[126] – الحكم لابن عطاء الله السكندري، تحقيق أحمد عز الدين عبد الله خلف الله، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 1996، ص. 132، الحكمة 162. وانظر أيضا: "تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس" لابن عطاء الله السكندري (تحقيق محمد علي محمد بحري، وخالد خادم السروجي، مكتبة ابن القيم، دمشق، 1419 / 1999، ص. 93). "المنهج الأتم في تبويب الحكم" لعلاء الدين علي بن عبد الله المتقي الهندي (بعناية حسن السماحي سويدان، دار القادري، دمشق، ط. 1، 1418 / 1998، ص. 50).

[127] – أنس الوحيد ونزهة المريد، ص. 77.

[128] – انظر "الحكم العطائية"، من الحكمة 142 إلى 147. وانظر أيضا "المنهج الأتم" (ص. 102، الباب التاسع والعشرون: باب في خصائص العارف).

[129] – توجد منه نسخة مخطوطة، محفوظة في الخزانة الحسنية بالرباط، مسجلة تحت رقم "12331"، ضمن مجموع، من الورقة 110 ب إلى 111 ب، وأخرى محفوظة في المكتبة الوطنية بالرباط، مسجلة تحت رقم "774 د"، ضمن مجموع، من الورقة 68 أ إلى 69 أ.

[130] – نفح الطيب، ج. 7، ص. 143 – 144.

[131] – توجد منها ثلاث نسخ مخطوطة، محفوظة في الخزانة الحسنية بالرباط، إحداها مسجلة تحت رقم "8832"، ضمن مجموع، من الورقة 209 أ إلى 210 أ، وثانيها تحت رقم "12331"، ضمن مجموع، من الورقة 111 ب إلى 112 أ، وثالثها تحت رقم "11940"، ضمن مجموع، في الورقة 207 ب. كما توجد نسخة اخرى مخطوطة، محفوظة في المكتبة الزطنية بالرباط، مسجلة تحت رقم "774 د"، ضمن مجموع، من الورقة 69 أ إلى 69 ب.

[132] – مذكورة في "دائرة المعارف الإسلامية" (ج. 1، ص. 141).

[133] – انظر بعض الأدعية في "المعزى" (ص. 147 – 148).

إن التكوين المالكي المتين، الذي حدد التوجه الفكري، والعلمي، والروحي، لأبي مدين، هو المعيار الذي انفتح به على شيخه عبد القادر الجيلاني، فأخذ طريقته الصوفية، ونشرها في كل أرجاء المغرب، دون المساس بهويته المذهبية.

لقد كان أبو مدين، يربي الناس روحيا، وفي الآن نفسه، ترد عليه الفتاوى، ويجيب عنها، وفقا لمذهب الإمام مالك[134]، معيدا بذلك للفقه أصالته. فكما كان يربي أتباعه أخلاقيا، فقد كان أيضا يدعو إلى أخذ العلم من أصوله، وتحرير القول من دليله، وإلا كان هوى متبعا، وبعبارته: "إنما حرموا الوصول بترك الاقتداء بالدليل وسلوكهم إلى الهوى"[135]، و"الحديث ما استدعيت من الجواب، والكلام ما صدقك من الخطاب"[136].

ولعل هذا ما يفسر لجوء أولياء وقته إليه للاستفتاء، فيما يعرض لهم من المسائل[137]. قال أحمد التادلي الصومعي (ت. 1013 هـ / 1604 م): "ومن عجيب كرائم سيدي أبي مدين، أن أولياء زمانه، كانوا يستفتونه في المعضلات، من مشكلات الطريق، التي لا يفهمها الفقهاء، فيجيب عنها في الحين"[138].

فلا غرو أن نلفي الكثير من القواعد الفقهية والأصولية، مضمَّنة في كتابه "أنس الوحيد ونزهة المريد"، وقد صيغت بأسلوب عرفاني.

من ذلك؛ مثلا؛ قوله: "الحق سبحانه وتعالى، يجري على ألسنة علماء كل زمان ما يليق بأهله"[139]، وهي لا تزيد عن كونها صيغة أخرى لما بقوله الفقهاء وعلماء أصول الفقه: "تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان". ومن ذلك أيضا قوله: "ما فات لا يستدرك، لأن الوقت الثاني غير الأول"[140].

كما نلاحظ، أن النزعة المغربية في بناء الثقافة والفكر على الكلام الأشعري، والفقه المالكي، والتصوف الجنيدي، واضحة في هذا الكتاب. ومن تجليات ذلك، أن الكتاب المذكور في التصوف، بيد أنه يَعتبره كتابا في التوحيد، بدليل انه اعتبر كلمة "التوحيد" من المفردات المكونة لعبارة العنوان، وكذا كلمة "المريد"، التي لا يمكن أن نتصور تصوفا بدون تمثُّلها.

أما الفقه، فحضوره لا يخفى على الناظر المتفحص، حيث صاغ عبارات فقهية وأصولية بصيغة أهل الإشارة.

---

[134]–**المعزى، ص.143. نيل الابتهاج، ج.1، ص.194. نفح الطيب، ج.7، ص.137. تعريف الخلف، ج.2، ص.172. شجرة النور الزكية، ص.164. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج.10، ص. 172– 175. المطرب، ص.61.**

[135] – أنس الوحيد ونزهة المريد، ص. 74.

[136] – أنس الوحيد ونزهة المريد، ص. 78.

[137] – **البستان، ص.112.**

[138] – **المعزى، ص.159.**

[139] – أنس الوحيد ونزهة المريد، ص.71.

[140] – أنس الوحيد ونزهة المريد، ص. 74.

ومن العبارات، التي تؤكد التداخل العميق، بين الأركان الثلاثة، في فكر أبي مدين الغوث، قوله: "إذا ظهر الحق، لم يبق معه غيره"[141]، حيث تحيلنا، على الأقل، إلى أمرين: أحدهما له صلة بعلم الكلام، وثانيهما له صلة بأصول الفقه.

أما الذي له صلة بعلم الكلام، فهو عدم جواز التقليد في العقائد، إذ التقليد يكون في المسائل الخلافية، وما دام الحق واحدا، وهذا لا يُتصور إلا في العقائد، فلا تقليد فيه، والآخذ به يأخذه عن دليل.

وأما الذي له صلة بأصول الفقه، وهو مسألة ناقشها علماء هذا الفن، في مبحث "الاجتهاد والتقليد"، وهي: هل الحق واحد في مسائل أصول الدين؟

ويقول في تقرير التداخل بين التوحيد والأحكام الفقهية: "أنفع العلوم: العلم بأحكام العبيد. وأرفع العلوم: علم التوحيد"[142].

ومن تجليات التداخل بين التوحيد والتصوف، أن التصوف يصير دليلا على التوحيد: "الفقر أمارة على التوحيد، ودلالة على التفريد"[143]، بل يصير التوحيدُ كلاما شارحا للتصوف، حيث عرفه بقوله: "الفقر: أن لا تشهد عين سواه"[144]، ويصير التصوف أمارة على أن صاحبه من أهل التسليم والتفويض، كما تدل على ذلك عبارته: "ثمن التصوف تسليم كلك"[145].

ومن تجليات التداخل بين الفقه والتصوف قوله: "من اكتفى بالكلام في العلم، دون اتصاف بحقيقته، تزندق، وانقطع. ومن اكتفى بالتعبد، دون فقه، خرج، وابتدع. ومن اكتفى بالفقه، دون ورع، اغتر، وانخدع. ومن قام بما يجب عليه من الأحكام، تخلَّص، وارتفع"[146].

ومن عباراته المؤكدة لأشعريته،قوله:"من ترك التدبير والاختيار،طاب عيشه"[147]،حيث تلوح منها نظرية الكسب الأشعرية، وهي الاعتقاد بأن الله تعالى، هو الخالق لأفعال العباد، وما على العبد، إلا الاكتساب.

ومن عباراته الواضحة في ذلك: "سنته عز وجل استدعاء العباد، لعبادته بسعة الأرزاق، ودوام المعافاة، ليرجعوا إليه بنعمته. فإن لم يفعلوا، ابتلاهم بالسراء والضراء، لعلهم يرجعون، لأن مراده عز

---

[141] – أنس الوحيد ونزهة المريد، ص. 72.

[142] – أنس الوحيد ونزهة المريد، ص. 73.

[143] – أنس الوحيد ونزهة المريد، ص. 81.

[144] – أنس الوحيد ونزهة المريد، ص. 81.

[145] – أنس الوحيد ونزهة المريد، ص. 82

[146] – أنس الوحيد ونزهة المريد، ص. 87.

[147] – أنس الوحيد ونزهة المريد، ص. 84.

وجل، رجوع العبد إليه، طوعا أو كرها"[148]. وفسر قوله تعالى: "صراط الله"[149] بقوله: "الدلالة عليه، والتبري من الحول والقوة إليه"[150].

ويقول بلسان أهل العرفان: "ليس للقلب، إلا وجهة واحدة. فمهما توجه إليها، حجب عن غيرها"[151]، إذ لا يخفى المقصد الأخلاقي الحاضر في هذه العبارة، دون أن تكون في معزل عن مسألة من أهم المسائل التي عالجها فقهاء المغرب، وهي: هل يجوز تقليد أكثر من إمام، في مسائل العبادات والمعاملات؟ أو لا يجوز؟

ويمكن أن نستنتج منها، أنه لا يجيز الترقيع في التقليد[152]. ومن أهم ما ينص عليه علماء المقاصد، أن الشريعة معللة بجلب المصلحة ودرء المفسدة. ومن العبارات، التي تلوح بهذا المعنى، قوله: "البصيرة تحقيق الانتفاع"[153]، وقوله: "من ضيع حكمة وقته، فهو جاهل. ومن فصر عنها، فهو عاجز"[154].

ولا جرم أن المصلحة المقصودة بالشرع، ليس صرف اللذة، كما قد ينصرف إلى الذهن، وإنما المصلحة التي تحقق الانتفاع في الدنيا والآخرة، وبعبارة الفقهاء والأصوليين: "في المعاش والمعاد". ومن عبارات أبي مدين الغوث، التي تؤدي هذا المعنى: "من نظر إلى المكوَّنات نظر إرادة وشهوة، حجب عن العبرة فيها، والانتفاع بها"[155].

ويقول أيضا في هذا السياق: "التسليم إرسال النفس في ميادين الأحكام، وترك الشفقة عليها من الطوارق والآلام"[156]، إذ إن العمل بالأحكام الشرعية، مع مراعاة مقاصدها، وإثبات عللها، يجعل العمل بها مقرونة بلذة، مما فيه تيسير عند الامتثال بها، ورفع لما يُظن أنه مبعث المشقة فيها. ولعل هذا هو مؤدَّى قوله: "استلذاذك بالبلاء، تحقيق الرضا"[157].

ويمكن أن نستفيد، من بعض عباراته، أن أبا مدين الغوث، كان من أهل التسليم والتفويض، أي أنه أشعري، بدون إغراق في التأويل، ومنها قوله: "احرص أن تصبح وتمسي مفوضا مستسلما، لعله ينظر

---

[148] – أنس الوحيد ونزهة المريد، ص. 85.

[149] – سورة الشورى، الآية 53.

[150] – أنس الوحيد ونزهة المريد، ص. 85.

[151] – أنس الوحيد ونزهة المريد، ص. 72.

[152] – ممن ألف في المسألة، ذاهبا إلى عدم جواز تقليد إلا الإمام المقلَّد، دون غيره، أبو الحسن علي بن ميمون الغماري الفاسي، دفين بيرون (ت. 917 هـ / 1511 م)، وذلك في كتابه "رسالة الأمر المحتوم على هذه الأمة في حق الأربعة الأئمة"، مخطوطة مصورة، محفوظة في الخزانة الحسنية بالرباط، مسجل تحت رقم "14142"، ضمن مجموع، من الصفحة 137 إلى 166).

[153] – أنس الوحيد ونزهة المريد، ص. 72.

[154] – أنس الوحيد ونزهة المريد، ص. 73

[155] – أنس الوحيد ونزهة المريد، ص. 85.

[156] – أنس الوحيد ونزهة المريد، ص. 73.

[157] – أنس الوحيد ونزهة المريد، ص. 80.

إليك، فيرحمك"[158]. ومنها قوله: "لسان الورع، يدعو إلى ترك الآفات. ولسان التعبد، يدعو إلى الدوام بالاجتهاد. ولسان المحبة، يدعو إلى الذوبان، والهيمان. ولسان المعرفة، يدعو إلى الفناء، والمحو، والإثبات، والصحو"[159]، حيث لا مانع يمنعنا من أن نفهم من أن المقصود من كلمة "إثبات"، إثبات الصفات، بدون تأويل، ولا تشبيه. ناهيك عما تؤديه هذه القولة من التداخل بين علم الكلام، والفقه (التعبد، الاجتهاد)، والتصوف (الورع، المحبة، الذوبان، الهيمان، المعرفة، الفناء، المحو، الصحو).

ومن أهم ما تلوح به "حِكَمُهُ"، أنه كان يحمل مشروعا من أهم المشاريع الكلامية، وهو التحذير من المبتدعة، ومحاربة الأفكار الضالة، ، التي كانت آثارها لا تزال باقية في عصره، أعني العصر الموحدي، على الرغم من الجهود الكبيرة، التي بذلها الموحدون، لتنقية عقائد الناس منها، فقد قال: "احذر صحبة المبتدعة، اتقاء على نفسك. واحذر صحبة النساء، اتقاء على قلبك"[160]، وقال: "من كان فيه أدنى بدعة، فاحذر مجالسته، لئلا يعود عليك شؤمها، ولو بعد حين"[161]. وهذا يكشف عن الدور، الذي قام به التصوف المغربي العملي، في تجذير العقيدة الأشعرية في المغرب، ومحاربة أهل الأهواء والزيغ والبدع.

ولا يخفى، أن تصوف أبي مدين الغوث، يتخذ من التصوف الجنيدي معينا له، ومشربا. فأبو القاسم الجنيد، من أهم الحلقات في سنده الصوفي[162]. ومعلوم أن تصوف هذا الأخير، ما هو إلا اتباع الكتاب والسنة، وهو من أبرز سمات التصوف المَدْيني. ومما قاله في تقرير ذلك: "من ضيَّع الفرائض، فقد ضيَّع نفسه"[163]، وقال: "لا طريق أوصل للحق، إلا من متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم في أحكامه"[164].

وإذا كان الجنيد قد قال: "من زادك في التصوف، فقد زادك في التخلق"، فقد قال أبو مدين الغوث ما يمكن أن نعتبره تفسيرا له: "حُسْنُ الخُلُق: معاملة كل شخص بما يؤنسه، ولا يوحشه"[165]، و"الشيخ: من هذبك بأخلاقه، وأدبك بإطراقه، وأنار باطنك بإشراقه"[166].

وإذا كنت طريقة الجنيد طريقة استقامة، لا طريقة كرامة، فقد قال أبو مدين الغوث: "إذا رأيتم الرجل، تظهر له الكرامات، وتنخرق له العادات، فلا تلتفتوا إليه. ولكن، انظروا كيف هو، عند امتثال الأمر والنهي"[167].

---

158 – أنس الوحيد ونزهة المريد، ص. 73.

159 – أنس الوحيد ونزهة المريد، ص. 79.

160 – أنس الوحيد ونزهة المريد، ص. 78.

161 – أنس الوحيد ونزهة المريد، ص. 87.

162 – انظر؛ مثلا؛ "رسالة الإخوان من اهل الفقه وحملة القرآن" (ص. 31).

163 – أنس الوحيد ونزهة المريد، ص. 77.

164 – أنس الوحيد ونزهة المريد، ص. 87.

165 – أنس الوحيد ونزهة المريد، ص. 78.

166 – أنس الوحيد ونزهة المريد، ص. 88.

فإن كان التصوف مؤديا لهذه المقاصد، فهو المطلوب، وإلا كان هوى متبَعا، وبعبارته: "آفة الخلق حسن الظن، وآفة الصوفية اتباع الهوى"[168].

وهذا الارتباط بين التوحيد، والفقه، والتصوف، ليس غريبا عن الفكر الإسلامي، في أوج تقدمه، وهو القرن الثالث، حيث كان الحكيم الترمذي، ممن أضاف شرطا إلى شروط الاجتهاد. وهو الولاية، فلا يفتي المفتي، إلا إذا كان من أهل الولاية الخاصة[169].

ولا جرم أن هذا يحقق قاعدة هامة، وهي اتفاق المذاهب قاطبة على أن أصول العلم، التي تضبط حياة المسلمين عامة، والعلماء خاصة، تتصدرها العلاقة الروحية الإيمانية، التي من أجلها نزل القرآن، واعتبرها منطلقا ضروريا، ومقصدا أساسا، في بناء المجتمع الإسلامي السليم.

وعندما نشير إلى "العلاقة الروحية الإيمانية"، فإننا نقصد أصالة حضور البعد الإيماني، اعني التوحيدي الأشعري، في التجربة الروحية، حيث التبس مفهوم الكلام بمفهوم التصوف، عند المغاربة، في أحايين كثيرة، بل ذابا وامتزجا في مصطلح واحد، يدل عليهما معا، وهو مصطلح "التوحيد". ومن ذلك، ما قاله أبو مدين الغوث: "أنفع العلوم: العلم بأحكام العبيد. وأرفع العلوم: علم التوحيد"[170].

فالتفاعل الروحي، يظل وسيلة هامة للانفتاح المذهبي – عقديا وفقهيا –، بحيث يصير الانفتاح، بين المذاهب الإسلامية، طريقة روحية، لتعميق الوحدة الإسلامية، وتخصيب المذهبية الفقهية، على حد سواء.

ونستنتج، من خلال ما ذكرنا، اأ أبا مدين الغوث، جمع بين الانفتاح على المشرق، والحفاظ على اًصالته، باعتباره ينتمي إلى أمة، لها خصائصها التي تميزها.

لقد تشبَّع أبو مدين الغوث بالمشرب الصوفي المشرقي، عند التقائه بعبد القادر الجيلاني، مع الحفاظ على المذهب المالكي في الفتوى والاجتهاد، باعتباره إطارا فقهيا، يحافظ على الوحدة السياسية في الغرب الإسلامي، الذي كان تحكمه آنئذ الأسرة الموحدية.

وبذلك، تكون العلاقة الروحية، بين أبي مدين المالكي والجيلاني الحنبلي، مظهرا لثلاث حقائق هامة:

- **أولاها: الترفع عن الخلافات المذهبية والفروع الفقهية؛**
- **ثانيها: الحرص على الأساس العقدي، الذي يمثله المذهب الأشعري؛**

---

[167] – أنس الوحيد ونزهة المريد، ص. 87.

[168] – أنس الوحيد ونزهة المريد، ص. 80.

[169] – تعليل الشريعة بين السنة والشيعة: الحكيم الترمذي وابن بابويه القمي نموذجين، لخالد زهري، سلسلة "كتاب قضايا إسلامية معاصرة"، دار الهادي، بيروت، ط. 1، 1424 / 2003، ص. 254.

[170] – أنس الوحيد ونزهة المريد لأبي مدين الغوث، تحقيق خالد زهري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 2004/1424، ص. 73.

– ثالثها: الحفاظ على التآلف الديني العميق. وهذا ما يجعل القاعدة الروحية منطلقا ضروريا لتخصيب التراث الفقهي وتنويعه، والحفاظ على الهوية المذهبية، مع الانفتاح على المذاهب الأخرى، ومد الجسور معها.